

نظرتنا إلى التراث ونظرتنا من ناقضتنا

التراث عامة هو كل ما يورثه السلف للخلف، من مفردات مادية عينية ومفردات شفاهية ادبية. التراث هو كل ما يجعلنا نتواصل مع سلفنا الصالح من افكار وعقائد، ومفاهيم واعتبارات، ضوابط وقواعد وشرائع، هو كل ما نرثه من اوابد ومعتقدات، من لغات تدوينية ولهجات محكية، من عبارات حكمية وفرائد ادبية وامثال شعبية وكنى والقاب. من مفردات الفنون الشعبية من اغان وتراويل وترانيم واهازيج، من احاج وطرائف، من تمانم واحراز و تعازيم ورقى، من اسماء اعلام ذات الاصول اللغوية والتأويلات الدلالية، ومختصراتها وتحويراتها. من وسائل لهو ولعب وما يلحقها من عدة وأداة. وغير هذا الكثير من الموروث المادي العياني من الحرف والمهن والصناعات، وما يلحقها من معدات وادوات من آلات وعدد وهنات، ومن الالبسة بازيائها المختلفة شكلا وتصميما ووظيفة، والمواد الاولية التي تدخل في صناعته، وكذا الحلي والاحجار الكريمة وصياغتها والاسلحة بانواعها. والمسكن وطرازه وتصاميمه ووظيفة كل جزء منه، وما يحتويه من اثاث كالافرشة والبسط، من اوان واوعية مختلفة وظيفيا، والمصنعة من الحجر والطين والفخار والخشب والقصب والبردي والمعادن والعظام والزجاج وغيرها.

اضف الى ذلك الارض، حيث نولد وننمو ونحيا على ترابها ومائها وهوائها، ارثنا من تراب ارضنا الذي نعتر به ونفديه بانفسنا هذا الموروث الهائل بكل التشعبات التي ذكرناها، نظرتنا اليه نظرتان: نظرة سلفية طبقية. ونظرة من خلال منظار العصر، نظرة انسانية بمفهومها الواسع المطلق. نظرة تراجعية انكماشية انعزالية. ونظرة انفتاحية على الكون كله. نظرة عبادة توابيت مومياءات التاريخ المحنطة. ونظرة مجردة من كل عوالم الماضي وخبثه -بفتح الاول والثاني - نظرة تجعل من مفردات التراث قيودا واطواق تحجر الفكر الانساني وتعميه وتغلفه بهالات كاذبة، وتجعل منه رموزا تمنحها قدسية محصنة عصية اختراقها من المحرمات التي تنذر بالويل لكل من يجراً بالتفكير بمسها أو التعرض لها .

هاتان النظرتان تجعلان للموروث، الموروث كله ذا وجهين متناقضين.
وجه يكرس الانفتاح الايجابي على الاخر، ويزرع في القلوب المحبة والوئام، الود والالفة، الفرح والطموح الايجابي باختراق افاق المستقبل المشرق.
ووجه يكرس الانغلاق والانكماش والانعزال والتفرد ويزرع في القلوب الحقد والكراهية، النفور وعدم تقبل الاخر، ورفض افكاره ومحاربتة بل وحتى تصفيته جسديا. وهذا ما نعيشه اليوم مع الاسف الشديد اذ بلغت الكراهية حدا عطلت الافكار وحشتها بمشاعر غريبة بجوع حيواني غريب للسفك دماء اخوانهم في البشرية دون تفريق بين مذنب و بريء بين رجل او امرأة، شيخ طاعن في السن او طفل رضيع هاجس حيواني اعمى قلوبهم فجعلهم يعتقدون ان خلاصهم هو أن يسبحوا في بحر من دماء البشر ليصلوا الى برزخ ملكوتي، الى احضان الله الذي سيفتح لهم ذراعيه ويحتضنهم في جنة الخلد.

ب. حداد

